



ما من ضميرٍ يَقِظُ وقلبٍ رحيمٍ في هذا العالم إلا ويُعرب عن قلقه لطغيان المادية على المبادئ الأخلاقية في سلوك الإنسان الحديث. وما يحدث على الساحة العالمية على مختلف الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية خير شاهد على هذا.

إن أول ما استهدفته العقلية المادية هو القيم الروحية والمبادئ الأخلاقية حيث جعلت المصلحة المادية على هرم اهتماماتها. فالعدل والحق والإنصاف لا قيمة لها إذا ما قيست بمقياس الربح والخسارة وبمقياس الشعار الزائف: الغاية تبرر الوسيلة.

ولا شك أن الحضارة الغربية قد بلغت ذروتها في الميادين العلمية ووصلت إلى مستويات جد عالية من حيث كمها ونوعها. فبقدر ما تزداد اهتماماً بالماديات بقدر ما تنحدر تلقائياً على المستوى الأخلاقي والروحاني نحو الحضيض في هوة سحيقة باطنها الفساد والانحلال!!

إن ما يسود المجتمعات الغربية الاستهلاكية من متناقضات أخلاقية على الصعيد الاجتماعي من تفكك أسري ونسبة مرتفعة للولادات غير الشرعية وزواج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة، يشير إلى الشروخ العميقة في مبنى هذه الحضارة. وفي ظل هذه الترديات لا يليق اصطلاحاً أن نسمي هذه الحضارة "حضارة". بما في هذا المعنى من دلالات لغوية. إن الحضارة تشمل في لبها التعريف بالمبادئ والأهداف والإنجازات السامية التي تنهض بالإنسان مادياً وسلوكياً. وبالتالي تُتقَف فيه معاني احترام كرامة أخيه الإنسان ومؤازرته. وهكذا يكتسب السعادة ويعم السلام العالم. والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام: هل تتمتع الحضارة الراهنة بهذه المواصفات؟

الإسلام حضارة الإيمان

إن الكثير من المعجبين بنمط الحياة الغربية لا يفرقون بين الحضارة الحقّة ومظاهر الحضارة، لذلك نجد البعض يُقيّم الحضارة برفاهية العيش وماديتها وشعارات إشباع الحاجة دون أدنى اعتبار للقيم والمواقف الأخلاقية التي يجب أن ترافق كل تطور مادي. فالحضارة الإسلامية التي نورت الدنيا بشمس منجزاتها والتي لَقَّت البشرية معنى التحضر ما كان لها أن تصل إلى هذا المقام الرفيع إلا بترسيخ مقاصد الدين الحنيف في فكر المسلمين الأوائل وترسيخ المبادئ الأخلاقية التي جعلتهم يحدّثون في كل المجالات أعظم انقلاب فكري وعلمي على الصعيد العالمي. ولقد بلغ تأثيره الإيجابي الذي جمع بين المادي والروحي درجة عالية من السمو بتقدير شتى المذاهب الفكرية والاجتماعية. في حين يفخر خصوم الإسلام أصحاب الحضارة الراهنة بما أحرزوه من رقي وتقدم في مجالات علمية عديدة، ويعزلون القيم والإيمان عن الفكر



الدجل التي بيّن المصطفى ﷺ بأفصح وصفٍ وكلم ماديتها وجورها وسطوتها واستنزافها للثروات والخيرات حيثما كانت. فقد أصبح واضحاً في عصرنا الراهن دجلها ومعدنهما، إذ فرضت على الشعوب الضعيفة رقاً اقتصادياً وسياسياً بعدما استعمرتها وأهككت مقوماتها. فأين عدالة الحضارة المعاصرة من عدالة الإسلام التي حرمت الاستعباد والطغيان والاستغلال في شتى صورته؟

فالبشرية اليوم ما زالت من الناحية السلوكية أقرب إلى عصور الماضي الذي فتك القوي فيها بالضعيف. وبالتالي فإن العقلية المادية وسلوكيتها هي حالة أخلاقية متردية لا ترتبط بزمان أو مكان، بل نجد آثارها في حضارات غابرة عند البحث في أسباب سقوطها وانهارها.

لقد رسم الدين الحنيف للإنسانية جمعاء المنهج السليم في التفكير والسلوك.. عقيدة ومسلكا، وجعل من الأخلاق والقيم لبنة أي تقدم حضاري سليم وعادل. وبهذا الصدد نود أن نشير إلى النصيحة التاريخية الخالدة التي أسداها حضرة أمير المؤمنين -أيده الله- إلى أعضاء الكونغرس الأمريكي خلال زيارة حضرته لمقره مؤخرًا، حيث قال ما تلخيصه: "عليكم أن تمسكوا بالعدل في كل الأحوال، وإن لم تقيموا العدل فلن تتمكنوا من المحافظة على حكوماتكم مهما كانت قوية. فعلى الأمم القوية أن تراعي الأمم الضعيفة، وهذا ضروري جدا لإقامة الأمن. فيجب أن تجلس الأمم كلها في مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة على قدم المساواة. ويجب ألا يمدد بلد عينه إلى ثروة بلد آخر."

وقفنا الله وإياكم لإحلال الأمن في عالمنا المضطربة أحواله، وهدنا لما يحبه ويرضاه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد

**... المعجبين بالحضارة الإسلامية
من غير المسلمين حينما يستذكرون
إنجازاتها يعزونها إلى الإسلام وليس
إلى الفكر البشري. ويطلقون عليها
تسمية "الإسلام حضارة الإيمان"**

والسلوك، نجد أن المعجبين بالحضارة الإسلامية من غير المسلمين حينما يستذكرون إنجازاتها يعزونها إلى الإسلام وليس إلى الفكر البشري. ويطلقون عليها تسمية "الإسلام حضارة الإيمان" - "Islam Empire of Faith" ولا شك أن نجاح المنهج الرباني في إشباع كل النزعات الفكرية والمادية والروحية بشكل متوازن يحقق المصلحة الحقيقية للإنسان كفرد وكمجتمع. إن عالمنا اليوم يعاني من أزمة أخلاقية ضربت بالقيم عرض الحائط وشوهت المفاهيم الإنسانية النبيلة حتى صار نداءً صحوه الضمير والفضيلة غوغاءً ونصرةً المظلومين والمستضعفين فوضى، والعيش في كنف إطار ديني رجعيةً.

والحري بنا أن نتساءل في ظل ما تشهده الساحة العالمية منذ فترة طويلة: أين قوى الخير والسلام والعدالة عند الحكم على الشعوب المستضعفة؟ فلا شك أن حضارة العالم اليوم هي حضارة مزعومة أو بالأحرى حضارة